طوبى للشّام

زمان الشام

محمّد صالح المنجّد





طوبى للشام

محمد صالح المنجد

ساهم في إعداد هذا الكتاب
الفريق العلمي في مجموعة زاد
بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد، محمد صالح

طوبى للشام. / محمد صالح المنجد - ط٢. - الرياض، ١٤٣٥هـ

٦٨ص، ١٤×٢١سم

ردمك: ٤-٤٨-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١. فضائل الأمكنة ٢. بلاد الشام - تاريخ

٣. الحديث - مباحث عامة أ. العنوان

ديوي: ٩٥٦,٥٣١ ١٤٣٥/٨٥٩٤

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٨٥٩٤

ردمك: ٤-٤٨-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

الناشر



المملكة العربية السعودية

الخبر - هاتف: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هاتف: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة ٢١٣٥٢

www.zadgroup.net

امتياز التوزيع



المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية

طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ - فاكس: ٤٨٨٩٠٢٣

هاتف مجاني: ٩٢٠٠٢٠٢٠٧

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥







المحتويات







مُقـدّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فهذه نبذة مختصرة، تقصّ الحق الذي شهد به الكتاب المبين والسنة المطهرة، في بيان فضل هذه البلاد المباركة، وكرامة تلك الديار المشرَّفة، وهو فصل من فصول كتاب كبير عن الشام أرجو أن يفيد في أحداث الساعة الراهنة، التي أدمعت العين، وأدمت القلب، وأزعجت النفس.

تلك الأحداث التي جرَّت على الشام وأهله ما جرَّته من صنوف البلاء، وأعقبت ما أعقبته من الهموم والكروب بشتى أنواعها وكافة أجناسها.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ



﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ [آل عمران: ١٤٠-١٤١].

ومن تأمل هذه النصوص الثابتة والأخبار الصادقة تعرَّف على موعود الله الذي لا يخلف وعده، وأيقن أن النصر قادم، وأن مع العسر يسرا، وأن الله معزٌّ جندَه، ومذلٌّ عدوَّه، ومتمٌ نورَه، لا محالة.

فإلى بشرى تلك العجالة، وإلى الأمل المنشود، الذي تحمله بين طياتها كلماتُ الصادق المصدوق، ويزفّه إلينا حديثُ من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.







فضائل الشام في القرآن والسنة

يختص الله برحمته من يشاء من عباده، ويَخصُّ بفضله من يريد، ويفضِّل بعض البقاع والبلدان والأزمان على بعض، ولله الحكمة البالغة في ذلك.

قال القرطبي -رحمه الله-: «للبارئِ تعالى أن يفعلَ ما يشاءُ، ويخصُّ بالفضيلةِ ما يشاءُ، ليسَ لعملهِ علّةٌ، ولا عليهِ حَجرٌ، بل يفعلُ ما يريدُ بحكمتهِ، وقد تظهرُ فيهِ الحكمةُ، وقد تخفى»[١].

وقد حفلت السنَّة النبوية بأحاديث كثيرة في فضل الشام وفضل أهلها، وفضل الهجرة إليها زمان الفتن، أفردها العلماء بالتصنيف، منهم: أبوالحسن الرَّبعي، وأبوسعد السمعاني، وأبوالفرج بن الجوزي، وبهاء الدين بن عساكر، وبرهان الدين البقاعي، وضياء الدين المقدسي، والعز بن عبدالسلام، وابن عبدالهادي، وابن رجب الحنبلي، وغيرهم.

فـ«**إقليم الشام: جليل الشأن، ديار النَّبيِّين، ومركز**

(١) تفسير القرطبي (٨/ ١٣٦).



الصالحين، ومطلب الفضلاء، به القبلة الأولى، وموضع الحشر والمسرَى، والأرض المقدَّسة، والرباطات الفاضلة، والثُّغور الجليلة، ومهاجر إبراهيم، ومشاهد الأنبياء... وفضائل لا تخفى» [١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «ثبتَ للشّامِ وأهلهِ مناقبُ بالكتابِ والسّنّةِ وآثارِ العلماءِ، وهيَ أحدُ ما اعتمدته في تحضيضي المسلمينَ على غزوِ التّتارِ، وأمري لهم بلزومِ دمشقَ، ونهيي لهم عن الفرارِ إلى مصرَ، واستدعائي العسكرَ المصريَّ إلى الشّامِ وتثبيتِ الشّاميِّ فيهِ»[٢].

الشام لغة:

الشَّأم، والشأَم: بسكون الهمزة وفتحها لغتان، وفيها لغة ثالثة وهي «**الشامُ**» بغير همز، واشتقاقها مأخوذ من اليد الشؤمى؛ وهي اليسرى ؛ سميت به لأنها من مشأمة القبلة.

وقيل: سميت بذلك لكثرة قُراها وتداني بعضها من بعض، فشبهت بالشامات.

وقيل: سميت الشام بـ«سام بن نوح»؛ لأنه أول من نزلها، واسمه بالسريانية: شام[٣].

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (ص١٥١)، باختصار وتصرُّف.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٥).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣/ ١٧١).



والشـام هـي الإقليـم الشـمالي الغـربي مـن شـبه جزيـرة العرب[١].

وحـدُّ الشـام؛ من الغـرب: البحر المتوسـط، ومن الشرق: البادية من أيلة[٢] إلى الفرات، وينتهي حد الشام شمالًا بسفوح جبال طوروس، وجنوبا بعريش مصر[٣].

والفضائل الثابتة للشام كثيرة متنوّعة، فمن ذلك:

١. أن الشام من البلاد التي بارك الله فيها:

«وَقَد دَلَّ القُرآنُ العَظِيمُ عَلَى بَرَكَةِ الشَّامِ فِي خَمسِ آيَاتٍ»[٤]:

الأولى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١].

قال الإمام الطبري: «أي: الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم، وأقواتهم، وحروثهم، وغروسهم»[٥].

فقد بارك الله **في أرضها**: بالمياه والأشجار والثمار والخصب، **وفي أرزاقهـا**: بالكثرة والطيـب، **وفي رجالها**: بالعلـم والنبوة،

---

(١) وبلاد الشام تشمل في هذا العصر: سوريا، والأردن، ولبنان، وفلسطين.
(٢) أيلة: مدينة قديمة على البحر الأحمر، وهي على مقربة من العقبة اليوم.
(٣) ينظر: كتاب خطط الشـام (١/ ٩) لمحمد كرد علي، وكذا: تهذيب الأسـماء واللغات للنووي (٣/ ١٧١).
(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤).
(٥) جامع البيان (٦/ ٥٠٩٣).



وفي طباعهم: بالاستقامة، **وفي عزائمهم**: بالنجدة والشجاعة والمكارم، وفي جميع أحوالهم[١].

الثانية: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

قال الطبري: «هي أرض الشام، فارق صلوات الله عليه قومه ودينهم وهاجر إلى الشام».

وقال: «لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد قدم مكة وبنى بها البيت، وأسكنها إسماعيل ابنه مع أُمه هاجر، غير أنه لم يُقم بها، ولم يتخذها وطناً لنفسه، ولا لوط»[٢].

الثالثة: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء: ٨١].

فإنَّ المراد بتلك الأرض: الشَّام، «وَإِنَّمَا كَانَتْ تَجْرِي إِلَى أَرضِ الشَّامِ الَّتِي فِيهَا مَمْلَكَةُ سُلَيمَانَ»[٣].

الرابعة: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

«ومعلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها، بعد أن أُغرق فرعون في اليم»[٤].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٣/ ٩٢).
(٢) جامع البيان (٧/ ٥٧١٦)
(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٦).
(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٦).



الخامسة: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ [سبأ: ١٨].

فالقرى التي بارك الله فيها هي قُرَى الشَّامِ.

قال ابن كثير: «قال مجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وابن زيد وغيرهم: يعني قرى الشام.

يعنون: أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة»(١).

قال شيخ الإسلام بعد ذكره هذه الآيات الخمس: «فهذهِ خمسُ نصوصٍ حيثُ ذكرَ اللهُ أرضَ الشّامِ في هجرةِ إبراهيمَ إليها، ومسرى الرّسولِ إليها، وانتقالِ بني إسرائيلَ إليها، ومملكةِ سليمانَ بها، ومسيرِ سبأٍ إليها، وصفها بأنّها الأرضُ الّتي باركنا فيها.

وأيضاً ففيها: الطّورُ الّذي كلّمَ اللهُ عليهِ موسى، والّذي أقسمَ اللهُ بِهِ في (سورةِ الطّورِ)، وفي ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ [التين: ١-٢].

وفيها: المسجدُ الأقصى.

وفيها: مبعثُ أنبياءِ بني إسرائيلَ، وإليها هجرةُ إبراهيمَ، وإليها مسرى نبيّنا، ومنها معراجهُ»(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١١/ ١٧٦).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٦)



ودعـا لها النبي ﷺ بالبركـة، فعن ابن عمـر أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**اللهـمَّ بارك لنا في شـامنا، اللهمَّ بارك في يمننـا، اللهمَّ بارك لنا في شـامنا، اللهمَّ بارك في يمننا، اللهمَّ بارك لنا في شـامنا، اللهمَّ بارك في يمننـا**». فلـمّا كانَ في الثّالثـةِ أوِ الرّابعةِ، قالوا: يا رسـولَ الله وفي عراقنا؟ قالَ: «**إنَّ بها الزّلازلَ، والفتنَ، وبها يطلعُ قرنُ الشّيطانِ**»[١].

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية: «والبركةُ تتناولُ: البركةَ في الدّينِ، والبركةَ في الدّنيا»[٢].

وقـال ابـن رجـب الحنبـلي: «اعلـم أن البركـة في الشـام تشـمل البركـة في أمور الديـن والدنيا، ولهذا سـميت الأرض المقدسة»[٣].

قـال العز بن عبدالسـلام: «لما بدأ بالدعاء للشـام بالبركة، وثنَّـى باليمن، دل على تفضيل الشـام على اليمـن، مع ما أثنى بـه على أهل اليمـن في غير هـذا الحديث، فإن البدايـة إنما تقع بالأهـم فالأهم»[٤].

ورُوي عـن كعب قـال: «إن الله تعـالى بارك في الشـام من الفرات إِلَى العريش»[٥].

---

(١) رواه البخاري (١٠٧٣)، والترمذي (٣٩٥٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٨٤) واللفظ له.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤).

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٢٤).

(٤) ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام للعز بن عبدالسلام (ص٣٤).

(٥) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٢٣)



وقـد أقسـم الله في كتابـه بمواضـع شريفـة منهـا، دلالةً على عظمتها، فإنه سبحانه وتعالى لا يقسم إلا بعظيم، فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١-٣].

قـال الحافـظ ابن كثير: «قـالَ بعـضُ الأئمّةِ[١]: هـذهِ محالٌّ ثلاثـةٌ، بعـثَ الله في كلِّ واحدٍ منها نبيّاً مرسـلاً من أولي العزمِ أصحابِ الشّرائعِ الكبارِ.

فالأوّلُ: محلّةُ التّينِ والزّيتونِ، وهيَ بيتُ المقدسِ الّتي بعثَ الله فيها عيسى ابنَ مريمَ.

والثّاني: طورُ سـينينَ، وهوَ طورُ سـيناءَ الّذي كلّمَ الله عليهِ موسى بنَ عمرانَ.

والثّالثُ: مكّةُ، وهوَ البلدُ الأمينُ الّذي من دخلهُ كانَ آمناً، وهوَ الّذي أرسلَ فيهِ محمّداً ﷺ»[٢].

قـال ابـن رجب الحنبـلي: «ولا ريب أن لفـظ القرآن يدل صريحـاً على التـين والزيتـون المأكولـين، كما قاله ابـن عباس ومجاهد وغيرهما.

ولكنـه قد يدل على مكانهـما من الأرض، بدليـل أنهما قُرنا بمكانين شريفين، وهما الطور والبلد الأمين.

---

(١) يعني بذلك شـيخ الإسـلام ابن تيمية، وينظر: الجـواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٢٠٤)، (٥/ ٢٠٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٤).



وهـذه البقـاع هـي أشرف بقـاع الأرض، ومنهـا ظهـرت النبـوءات العظيمة والشرائع المتبعة، فعامـة أنبياء بني إسرائيل كانـوا من الشـام، وهـي أرض التين والزيتـون، ومنها ظهرت نبوة عيسـى –عليه السلام–، وطور سـيناء كلم الله منه موسى –عليه السـلام–، والبلد الأمين منه ابتـدأ الوحي، وإنزاله عَلَى محمد ﷺ، وهذه النبوات الثلاث هي أعظم النبوات والشرائع.

فمن قـال من المفسريـن: إن التين والزيتون همـا المأكولان فقولـه صحيح باعتبار دلالـة التين والزيتون عَـلَى بقاعهما من الأرض، فإن أرض الشام هى أرض التين والزيتون غالباً.

ومـن قـال: التـين: دمشـق، والزيتـون: بيـت المقـدس وفلسـطين، فقوله صحيـح، باعتبار أن دمشـق وما حولها هي بلاد التين غالباً، وفلسطين وبيت المقدس بلاد الزيتون غالباً.

ومن قال: المراد: جبل دمشـق وجبل بيت المقدس، فالجبل من جملة أرض التين والزيتون.

ومـن قال: المراد مسـجد دمشـق ومسـجد بيـت المقدس، فهذان المسجدان هما أشرف بقاع أرض الشام، والله أعلم»[١].

٢. والشام ترعاها ملائكة الرحمن وتحفظها.

فعـن زيـدِ بـنِ ثابتٍ قـالَ: كنّا عنـدَ رسـولِ الله ﷺ نؤلّفُ القرآنَ من الرّقاعِ[٢].

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٥٣).

(٢) أي: يجمعون ما نزل من الآيات المفرقة في سورها، ينظر: مرقاة المفاتيح (١/ ٣١٧).



فقالَ رسولُ ﷺ: «**طوبى للشّامِ**».

فقلنا: لأيٍّ ذلكَ يا رسولَ الله؟

قالَ: «**لأنَّ ملائكةَ الرّحمنِ باسطةٌ أجنحتها عليها**»(١).

وفي روايـة: «**يـا طوبى للشّـامِ، يـا طوبى للشّـامِ، يا طوبى للشّامِ...**» الحديث(٢).

طوبى: أي حالة طيبة لها ولأهلها.

قال ابن الأثير: «المراد بطوبى ها هنا: فعلى من الطّيب»(٣).

وقـالَ الطّيبـيُّ: «طوبى مصدرٌ من طـابَ كبشرى وزلفى، ومعنى طوبى لكَ: أصبتَ خيراً وطيّباً»(٤).

وقولـه: «**باسـطةٌ أجنحتهـا عليها**»، أي: «تحفهـا وتحوطها بإنزال البركات، ودفع المهالك والمؤذيات»(٥).

٣. الشـام صفـوة الله مـن أرضـه، وقـد تكفَّـل الله بها وبأهلها.

ولهذا جاءت الوصيةُ بسكنى الشام والهجرة إليها.

فعـن ابنِ حوالةَ قالَ: قالَ رسـولُ الله ﷺ: «**سـيصيرُ الأمرُ**

---

(١) رواه أحمد (٢١٠٩٦) والترمذي (٣٩٥٤) وحسنه، وصححه: السيوطي والألباني.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٥/ ١٥٨)، وصححه الألباني

(٣) النهاية (٣/ ٣١٨).

(٤) مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٠٣٩)

(٥) فيض القدير (٤/ ٢٧٤)



إلى أن تكونوا جنوداً مجنّدةً، جندٌ بالشّـامِ، وجندٌ باليمنِ، وجندٌ بالعراقِ».

قالَ ابنُ حوالةَ: خر لي[١] يا رسولَ الله إن أدركتُ ذلكَ.

فقالَ: «**عليكَ بالشّامِ، فإنّها خيرةُ الله من أرضهِ، يجتبي إليها خيرتهُ من عبادهِ[٢]، فأمّا إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم[٣]، فإنَّ اللهَ توكّلَ لي بالشّامِ وأهلهِ**»[٤].

ورواه أحمد (٢٠٣٦٥) بلفظ: «**عليكَ بالشّامِ[٥]، عليكَ بالشّامِ، عليكَ بالشّامِ، فمن أبى فليلحق بيمنهِ، وليسقِ من غدرهِ، فإنَّ اللهَ قد تكفّلَ لي بالشّامِ وأهلهِ**»[٦].

---

(١) أي اختر لي، ودلّني على بلاد أسكنها عند وقوع الفتن وتقسيم بلاد المسلمين إلى أجناد أو دويلات.

(٢) أي يجمع إليها المختارين من عباده، والاجتباء: الاصطفاء.

(٣) قال الطيبي: «كأن قوله (فأما إن أبيتم) وارد على التأنيب والتغيير... فإن أبيتم أيتها العرب ما اختاره الله تعالى، واخترتم بلادكم ومسقط رأسكم من البوادي، فالزموا يمنكم واسقوا من غدرها؛ لأنه أوفق لكم من مياه البوادي.
فعلم من هذا أن الشام أولى بالاختيار، واليمن عند الاضطرار، والغدر: جمع غدير، وهو حفرة ينقع فيها الماء، والعرب أكثر الناس اتخاذا لها، ولذلك أضيفت إليهم». مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٠٤٢)

(٤) رواه أبو داود (٢٤٨٣) وصححه الألباني.

(٥) وقد نزل عبدالله بن حوالة الشام، وسكن بها، وتوفي بها، رضي الله عنه. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٩).

(٦) المعنى أن الله ضمن لي حفظها وحفظ أهلها من بأس الكفرة واستيلائهم بحيث يتخطفهم ويدمرهم بالكلية، ينظر: مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٠٤٢).



«فكانَ أبو إدريسَ الخولانيُّ إذا حدّثَ بهذا الحديثِ قالَ: من تكفّلَ الله بهِ، فلا ضيعةَ عليهِ»[١].

قال العز بن عبدالسلام: «فأخبر ﷺ أن الشام في كفالة الله تعالى، وأن ساكنيه في كفالته: حفظه وحياطته، ومن حاطه الله تعالى وحفظه، فلا ضيعة عليه»[٢].

ونقل أبو داود عن الإمام أحمد أنَّه قيل له: هذه الأحاديث التي جاءت أن الله تكفل لي بالشام وأهله، ونحو هذا.

قال: ما أكثر ما جاء في هذا.

قيل له: فلعله في الثغور.

قال: لا[٣].

وعن معاوية بن حيدة قالَ: قلتُ يا رسولَ الله أينَ تأمرني؟.

قَالَ: «**هَا هُنَا، وَنَحَا بِيَدِهِ نَحوَ الشَّام**»[٤].

وروى إبراهيم بن أدهم عن عطاء الخراساني قال: لما هممت بالنُّقلة من خراسان شاورت من بها من أهل العِلم: أين ترون أن أنزل بعيالي؟

فكلهم يقول لي: عليك بالشام.

ثم أتيت البصرة فشاورت من بها: أين ترون أن أنزل بعيالي؟

---

(١) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٩/ ٢٧٣).

(٢) ترغيب أهل الإسلام (ص٤).

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٨٥).

(٤) رواه الترمذي (٢٩١٢) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وصححه الألباني.





فكلهم يقول لي: عليك بالشام.

ثم أتيت الكوفة فشاورت من بها من أهل العِلم: أين ترون أن أنزل بعيالي؟



فكلهم يقول لي: عليك بالشام.

ثم أتيت مكة فشاورت من بها من أهل العِلم: أين ترون لي أن أنزل بعيالي؟

فكلهم يقول لي: عليك بالشام.

ثم أتيت المدينة: فسألت من بها من أهل العِلم: أين ترون لي أن أنزل بعيالي؟

فكلهم يقول لي: عليك بالشام[1].

وقد نزل كثير من أنبياء الله ورسله -صلى الله عليهم وسلم- في الشام، وإنَّ التاريخ الطويل لبلاد الشام مرتبط أشد الارتباط بسيرة أولي العزم من الرسل، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين؛ كـ: إبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وهارون، واليسع، وشعيب، ويوشع، وأيوب، ويونس، وإلياس، وداود، وسليمان، وعيسى، وزكريا، ويحيى، عليهم الصلاة والسلام.

قال ابن رجب -رحمه الله-: «عامة أنبياء بني إسرائيل كانوا من الشام»[2].

---

(١) التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (٢/ ١٠٧).

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٥٣).



وقد دخل النبي ﷺ بلاد الشام قبل البعثة وهو صبي مع عمه في التجارة، ولم يخرج من الحجاز إلا إليها.

وبعد الهجرة توجه النبي ﷺ إلى مشارفها لحرب الروم ؛ فوصل إلى تبوك بأرض الأردن، فبدأ بها قبل غيرها من الأمصار، وأعطاها اهتماماً دون غيرها من البلدان، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون من بعده.

فالشام كما قال شيخ الإسلام: «فيها مبعثُ أنبياءَ بني إسرائيلَ، وإليها هجرةُ إبراهيمَ، وإليها مسرى نبيّنا، ومنها معراجهُ، وبها ملكهُ وعمودُ دينهِ وكتابهِ، وطائفةٌ منصورةٌ من أمّتهِ ؛ وإليها المحشرُ والمعادُ»[١].

٤ . وأهل الشام هم الصفوة المختارة.

عن قرّةَ بن إياس قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إذا فسدَ أهلُ الشّامِ، فلا خيرَ فيكم**»[٢].

وهذا يدل على أن فضائل الشام ليست للبلاد فقط، وإنما للبلاد وأهلها.

وقد بوب ابن حبان في صحيحه[٣] على هذا الحديث بقوله: «ذكرُ الإخبارِ على أنَّ الفسادَ إذا عمَّ في الشّامِ، يعمُّ ذلكَ في سائرِ المدنِ».

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٧).

(٢) رواه الترمذي (٢١٩٢) وصححه، وصححه الألباني.

(٣) صحيح ابن حبان (١٦/ ٢٩٢).



ويدل عليه أيضاً قوله ﷺ في الحديث المتقدم: «**فإنَّ اللهَ قد تكفَّلَ لي بالشّامِ وأهلِهِ**».

وما يحصل في الشام اليوم أقوى دليل على أن أهل الشام لم يفسد حالهم ؛ فهم مع ما هم فيه من البلاء والتقتيل لا يزالون صامدين ثابتين، لا يزيدهم هذا البلاء إلا إيماناً وتسليماً، وهم في ذلك ينتظرون نصر الله القريب.

وهذا وحده يكفي للدلالة على أصالة الإيمان في قلوبهم، وما هم عليه من صحة الانتساب لدين الله وسنة رسوله ﷺ.

وليس الفساد أن تُبتَلى، ولكنَّ الفساد أن تُبتلى ثم لا تصبر، أما من ابتُلي فصبر، فقد سلك مسلك الأنبياء والصالحين.

٥. الشام مَنزل الإيمان، وبها عمود الكتاب.

عن عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ رضيَ الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنّي رأيتُ كأنَّ عمودَ الكتابِ انتزعَ من تحتِ وسادتي، فأتبعتهُ بصري، فإذا هوَ نورٌ ساطعٌ عمدَ بهِ إلى الشّامِ، ألا وإنَّ الإيمانَ إذا وقعتِ الفتنُ بالشّامِ**»[١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيتُ عموداً من نورٍ خرجَ من تحتِ رأسي ساطعاً حتّى استقرَّ بالشّامِ**»[٢].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٨٥٥٤)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٥٢)، وصححه الألباني.

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢٧٧٦)، والطبراني في مسند الشاميين (١٥٦٦)، وحسنه ابن كثير في مسند الفاروق (٢/ ٧٠١)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٣/ ٣٦٩).



قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «وعمودُ الكتابِ والإسلامِ: ما يعتمدُ عليهِ، وهم حملتهُ القائمونَ بهِ»(١).

وقال العز بن عبدالسلام -رحمه الله-: «أخبر النبي ﷺ أن عمود الإسلام الذي هو الإيمان يكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى: أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام براء من ذلك ثابتين على الإيمان، وإن وقعت في غير الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان، وأي مدح أتم من ذلك؟.

والمعني بعمود الإسلام: ما يعتمد أهل الإسلام عليه، ويلتجئون إليه، والعيان شاهد لذلك، فإنا رأينا أهل الشام على الاستقامة التامة، والتمسك بالكتاب والسنة عند ظهور الأهواء، واختلاف الآراء»(٢).

قال شيخ الإسلام: «وأمّا الشّامُ فلم يزل فيها العلمُ والإيمانُ، ومن يقاتلُ عليهِ منصوراً مؤيّداً في كلِّ وقتٍ»(٣).

٦. استقرار الإسلام وثبوته بالشام.

عن خالدِ بنِ معدانَ، عن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ أنّهم قالوا: يا رسولَ اللهِ، أخبرنا عن نفسكَ.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٢).

(٢) ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام (ص٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٤٩).



قَـالَ ﷺ: «دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبشرى عيسـى، ورأت أمّي حينَ حملـت بي كأنّهُ خرجَ منها نورٌ أضـاءت لهُ قصورُ بصرى من أرضِ الشّامِ»[١].

قـال ابن كثير: «كانَ منامـاً رأتهُ حينَ حملت بهِ، وقصته على قومها فشاعَ فيهم واشتهرَ بينهم، وكانَ ذلكَ توطئةً.

وتخصيصُ الشّامِ بظهورِ نورهِ إشارةٌ إلى استقرارِ دينهِ وثبوتهِ ببلادِ الشّـامِ، ولهذا تكونُ الشّامُ في آخرِ الزّمانِ معقلاً للإسلامِ وأهلِهِ، وبها ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ إذا نزلَ بدمشقَ»[٢].

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: «وأمَّا إضاءة قصور بـصرى بالنـور الذي خـرج معه، فهـو إشـارة إلى ما خص الشـام مـن نور نبوتـه، بأنها دار ملكه، كما ذكـر كعب أن في الكتب السـابقة: محمد رسـول الله، مولده بمكة، ومهاجره يثرب، **وملكه بالشام**، فمن مكة بُدئت نبوة محمد ﷺ، وإلى الشـام ينتهي ملكـه، ولهذا أسري به ﷺ إلى الشـام إلى بيت المقـدس، كما هاجر إبراهيم عليه الصلاة والسـلام من قبله إلى الشام.

قال بعض السـلف: ما بعث الله نبيّاً إلا من الشام، فإن

---

(١) رواه الحاكـم في المسـتدرك (٢/ ٦٥٦) وقـال: «خالدُ بن معـدان من خيار التّابعين، صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصّحابة فإذا أسند حديثاً إلى الصّحابة فإنّه صحيحُ الإسـناد ولم يخرجاه»، وقال ابن كثير: «وهذا إسـنادٌ جيّد»، وصححه كذلك الشيخ الألباني في الصحيحة (١٥٤٥).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٤).



لم يبعثه منها هاجر إليها، وفي آخر الزمان يستقر العلم والإيمان بالشام فيكون نور النبوة فيها أظهر منه في سائر بلاد الإسلام»(١).

٧. الطائفة المنصورة التي تحمل الحق وتدافع عنه في أرض الشام.

عَن مُعَاوِيَةَ بنِ قُرَّةَ عَن أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي منصورينَ، لا يضرّهم من خذلهم حتّى تقومَ السّاعةُ**»(٢).

ورواه مسلم (١٥٦) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، بلفظ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي يقاتلونَ على الحقِّ ظاهرينَ إلى يومِ القيامةِ**».

ورواه البخاري (٣٦٤١) –واللفظ له– ومسلم (١٠٣٧) عن معاويةَ بن أبي سفيانَ قالَ سمعتُ النّبيَّ ﷺ يقولُ: «**لا يزالُ من أمّتي أمّةٌ قائمةٌ بأمرِ الله، لا يضرّهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتّى يأتيهم أمرُ الله وهم على ذلكَ**».

فَقَالَ مَالِكُ بنُ يُخَامِرَ قَالَ مُعَاذٌ: وَهُم بِالشَّامِ.

فقالَ معاويةُ: هذا مالكٌ يزعمُ أنّهُ سمعَ معاذاً يقولُ: وهم بالشّامِ.

---

(١) لطائف المعارف (ص٨٨).

(٢) رواه الترمذي (٢١٩٢) وصححه الألباني في صحيح الترمذي وغيره.



ورواه أبو داود (٢٤٣٤) وأحمد (١٩٤١٩) عن عمرانَ بنِ حصينٍ قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي يقاتلونَ على الحقِّ ظاهرينَ على من ناوأهم حتّى يقاتلَ آخرهم المسيحَ الدّجّالَ**».

ورواه الطبري في التهذيب (٩٣٣) وزاد: وكان مطرف يقول: هم أهل الشام.

وفي رواية له أيضا قال: فكانوا يرون أنهم من أهل الشام.

ورواه أحمد (١٨٨٠٤) بسند صحيح عن أبي عبدالله الشامي قالَ سمعتُ معاويةَ يخطبُ يقولُ: يا أهلَ الشّامِ حدّثني الأنصاريُّ -يعني زيدَ بنَ أرقمَ- أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي على الحقِّ ظاهرينَ**»، وإنّي لأرجو أن تكونوا هم يا أهلَ الشّامِ.

وروى مسلم (١٩٢٥) عن سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا يزالُ أهلُ الغربِ ظاهرينَ على الحقِّ حتّى تقومَ السّاعةُ**».

قال شيخ الإسلام: «قالَ أحمد بنُ حنبلٍ: **أهلُ المغربِ هم أهلُ الشّامِ**، وهو كما قالَ لوجهينِ:

أحدهما: أنَّ في سائرِ الحديثِ بيانَ أنّهم أهلُ الشّامِ.

الثّاني: أنَّ لغةَ النّبيِّ ﷺ وأهلَ مدينتهِ في «أهلِ المغربِ» هم أهلُ الشّامِ ومن يغرّبُ عنهم.



كـما أنَّ لغتهم في أهلِ المشرقِ هم أهلُ نجـدٍ والعراقِ، فإنَّ التّغريـبَ والتّشريقَ من الأمورِ النّسـبيّةِ فكلُّ بلـدٍ لهُ غربٌ قد يكونُ شرقاً لغيرِهِ، ولهُ شرقٌ قد يكونُ غرباً لغيرِهِ.

فالاعتبـارُ في كلامِ النّبـيِّ ﷺ بما كانَ غربـاً وشرقاً لهُ حيثُ تكلّمَ بهذا الحديثِ وهيَ المدينة»[١].

وقـال: «ومـن يتدبّرُ أحوالَ العالمِ في هـذا الوقتِ، يعلمُ أنَّ هذهِ الطّائفةَ[٢] هيَ أقومُ الطّوائفِ بدينِ الإسـلامِ: علماً وعملاً وجهـاداً عن شرقِ الأرضِ وغربها ؛ فإنّهـم هم الّذينَ يقاتلونَ أهلَ الشّـوكةِ العظيمةِ من المشركينَ وأهلِ الكتابِ، ومغازيهم معَ النّصارى ومعَ المشركـينَ من التّركِ، ومعَ الزّنادقةِ المنافقينَ من الدّاخلينَ في الرّافضةِ وغيرهم كالإسـماعيليّة ونحوهم من القرامطةِ: معروفةٌ معلومةٌ قديماً وحديثاً.

والعـزُّ الّـذي للمسـلمينَ بمشـارقِ الأرضِ ومغاربهـا هوَ بعزّهم. ولهذا لمّا هزموا سـنةَ تسـعٍ وتسعينَ وستّمئةٍ دخلَ على أهلِ الإسلامِ من الذّلِّ والمصيبةِ بمشارقِ الأرضِ ومغاربها ما لا يعلمهُ إلّا الله»[٣].

فاجتمع لأهلِ الشّـام بتلـكَ النّصوصِ النّبّويّـةِ الصّحيحةِ عـدّةُ أوصـافٍ: أنّهـم أهـلُ جهـادٍ في سـبيلِ الله، يقاتلون على

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٧)، وينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٤٦).

(٢) يقصد أهل الشام.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٢).



الحقّ، ظاهرون على من ناوأهم وعاداهم، منصورون، لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيَ أمرُ الله وهم على ذلك.

وهذا الحديث: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي ظاهرينَ...**» حديث متواتر، نص على ذلك: شيخ الإسلام ابن تيمية، والسيوطي، والكتاني، والألباني، وغيرهم.

وقوله فيه: «**لا يضرُّهم مَنْ خَذَلهم ولا مَنْ خالفهم**»، المقصود نفي الضرر عن دينهم، فإنهم مهما خالفهم المخالفون وخذلهم الخاذلون، فهم ثابتون على الإيمان واثقون بوعد الله.

أما حصول الأذى والضُّر في النفس أو المال أو الأهل فلا يدخل في ذلك؛ فإن ذلك حاصل لهم أصلا دون خذلان من أحد، وهو من مصائب الدنيا التي تصيب الناس عموماً، وخاصة أهل الجهاد منهم.

ولذلك قال: (**لا يضرهم**)، ولم يقل: لا يؤذيهم؛ لأن الأذية قد تحصل، لكن لا تضر، وفرق بين الضرر والأذى، كما قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾[1].

وأكثر الأحاديث الواردة في الطائفة المنصورة تنص على الجهاد، وكثير منها يحدد بلاد الشام، وفي ذلك إشارة إلى أن بقاء الإسلام وأهله مرتبط بالجهاد في سبيل الله وقتال أعداء

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (٨/ ٦٩١).



الله، وهـذا ماض إلى يـوم القيامة، ولأهل الشـام الحظ الأوفر والنصيب الأكمل من ذلك، وخاصة آخر الزمان.

ولا معارضـة بـين تفسـير مـن فـسر الطائفـة المنصـورة بالمجاهديـن، وتفسـير مـن فسرهم بأهـل العلم ؛ فـإن هذين الصنفـين لا يعلـو الحق ولا ينقمـع الباطل إلا بهـما ؛ فبالجهاد تعلو كلمة التوحيد وينقمـع الشرك، وبالعلم يعلو منهج أهل السنة ويبطل منهج أهل البدعة.

ولا يـزال في الأمـة من هذيـن الصنفين من ينـصر دين الله وينافح عن شرائعه، فالجهاد جهادان: بالعلم وبالسنان.

قـال الحافظ ابـن رجب: «وأما من قال مـن العُلَماء: إن هذه الطائفة المنصورة هـم أهل الحديث، كما قاله ابن المبارك، ويزيد بـن هـارون، وأحمد بـن حنبـل، وعلي بـن المدينـي، والبخاري وغيرهـم، فإنَّـه غير مناف لما ذكرناه ؛ لأنّ الشـام في آخر الزمان بها يستقر الإيمان وملك الإسلام، وهي عقر دار المؤمنين، فلابد أن يكـون فيها مـن ميراث النبوة من العِلم ما يحصل به سياسـة الديـن والدنيا، وأهل العِلم بالسـنة النبوية بالشـام هم الطائفة المنصورة القائمون بالحق الذين لا يضرهم من خذلهم»[١].

وقال شـيخ الإسـلام: «والنّبيُّ ﷺ ميّـزَ أهلَ الشّـامِ بالقيامِ بأمـرِ الله دائـماً إلى آخرِ الدّهـرِ، وبأنَّ الطّائفةَ المنصـورةَ فيهم إلى آخرِ الدّهرِ.

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢١١).



فهوَ إخبارٌ عن أمرٍ دائمٍ مستمرٍّ فيهم معَ الكثرةِ والقوّةِ، وهذا الوصفُ ليسَ لغيرِ الشّامِ من أرضِ الإسلامِ ؛ فإنَّ الحجازَ الّتي هيَ أصلُ الإيمانِ نقصَ في آخرِ الزّمانِ منها العلمُ والإيمانُ والنّصرُ والجهادُ، وكذلكَ اليمنُ والعراقُ والمشرقُ.

وأمّا الشّامُ فلم يزل فيها العلمُ والإيمانُ ومن يقاتلُ عليهِ منصوراً مؤيّداً في كلِّ وقتٍ»[١].

٨. الشام هي أرض الرباط، ومعقل الجهاد على مر الزمان.

لذا كان صالحو المؤمنين من هذه الأمة يحرصون على الرباط في الثغور الشامية.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «كانَ صالحو المؤمنينَ يرابطونَ في الثّغورِ: مثلُ ما كانَ الأوزاعي وأبو إسحاقَ الفزاري ومخلد بنُ الحسينِ وإبراهيمُ بنُ أدهمَ وعبدُ الله بنُ المباركِ ويوسفُ بنُ أسباطَ وغيرهم: يرابطونَ بالثّغورِ الشّاميّةِ.

ومنهم من كانَ يجيءُ من خراسانَ والعراقِ وغيرهما للرّباطِ في الثّغورِ الشّاميّةِ ؛ لأنَّ أهلَ الشّامِ هم الّذينَ كانوا يقاتلونَ النّصارى أهلَ الكتابِ.

وهذهِ السّواحلُ الشّاميّةُ كانت ثغوراً للإسلامِ إلى أثناءِ المئةِ الرّابعةِ...

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٤٩).



فلـمّا كانَ في أثنـاءِ المئةِ الرّابعةِ اضطـربَ أمرُ الخلافةِ وصارَ للرّافضـةِ والمنافقـينَ وغيرهـم دولـةٌ وملـكٌ بالبـلادِ المصريّةِ والمغـربِ وبالبـلادِ الشّرقيّـةِ وبأرضِ الشّـامِ، وغلـبَ هؤلاءِ على ما غلبوا عليهِ من الشّـامِ: سـواحلهِ وغيرِ سـواحلهِ، وهم أمّـةٌ مخذولـةٌ ليسَ لهم عقلٌ ولا نقلٌ ولا ديـنٌ صحيحٌ ولا دنيا منصورةٌ.

فغلبت النّصارى على عامّةِ سواحلَ الشّامِ ؛ بل وأكثرِ بلادِ الشّـامِ وقهـروا الرّوافـضَ والمنافقينَ وغيرهم وأخـذوا منهم مـا أخـذوا إلى أن يسّرَ الله تعـالى بولايةِ ملوكِ السّـنّةِ مثلُ «نورِ الدّيـنِ وصلاحِ الدّينِ» وغيرهما: فاسـتنقذوا عامّةَ الشّـامِ من النّصارى.

وبقيت بقايا الرّوافضِ والمنافقينَ في جبلِ لبنانَ وغيرهِ وربّما غلبهـم النّصارى عليهِ حتّى يصيرَ هـؤلاءِ الرّافضةُ والمنافقونَ فلّاحينَ للنّصارى»[1].

وقـد شـهدت الشـام في تاريخهـا المـاضي معـارك عديدة، رفعـت فيهـا راية الإسـلام، وكبت فيهـا العدو الشـانئ؛ فقد شـهدت: اليرمـوك، وعـين جالـوت، وحطّـين، وكانت هذه المعارك معارك مفصَليّة في تاريخ الأُمة الإسلامية.

ففي معركة اليرموك انتهت الدولة البيزنطية.

وفي حطين تحطمت جيوش الصليبين، وفتح بيت المقدس.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٢-٥٥).



وفي عين جالوت انتهى غزو التتار لبلاد الإسلام، وتحوّل التتار من قوة شرسة كافرة إلى مسلمين يرفعون لواء الإسلام، ولواء السنّة.

٩. والشام: حرام على منافقيها أن يظهروا على مؤمنيها.

روى الإمام أحمد (١٥٦٣٥) عن خريم بن فاتكٍ الأسديّ رضي الله عنه -وهو صحابي شهد الحديبية- قال: «أهلُ الشّامِ سوطُ الله في الأرضِ، ينتقمُ بهم ممّن يشاءُ، كيفَ يشاءُ، وحرامٌ على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم، ولن يموتوا إلّا همّاً أو غيظاً أو حزناً»[١].

قال شيخ الإسلام: «وبهذا استدللت لقومٍ من قضاةِ القضاةِ وغيرهم في فتنٍ قامَ فيها علينا قومٌ من أهلِ الفجورِ والبدع الموصوفينَ بخصالِ المنافقينَ لمّا خوّفونا منهم، فأخبرتهم أنَّ منافقينا لا يغلبوا مؤمنينا.

وقد ظهرَ مصداقُ هذهِ النّصوصِ النّبويّةِ على أكملِ الوجوهِ في جهادنا للتّتارِ، وأظهرَ الله للمسلمينَ صدقَ ما وعدناهم بهِ، وبركةَ ما أمرناهم بهِ، وكانَ ذلكَ فتحاً عظيماً ما رأى المسلمونَ مثلهُ منذُ خرجت مملكةُ التّتارِ الّتي أذلّت أهلَ الإسلامِ؛ فإنّهم لم يهزموا ويغلبوا كما غلبوا على بابِ دمشقَ في الغزوةِ الكبرى الّتي أنعمَ الله علينا فيها من النّعمِ بما لا نحصيهِ خصوصاً وعموماً»[٢].

---

(١) صححه الألباني في الضعيفة (١/ ٦٩) موقوفا على خريم بن فاتك رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥١٠).



١٠ . والشام عقر دار المؤمنين.

عن سلمةَ بنِ نفيلٍ الكنديِّ قالَ: كنتُ جالساً عندَ رسولِ الله ﷺ، فقالَ رجلٌ: يا رسولَ الله أذالَ النّاسُ الخيلَ[١]، ووضعوا السّلاحَ، وقالوا: لا جهادَ، قد وضعت الحربُ أوزارها[٢].

فأقبلَ رسولُ الله ﷺ بوجهِهِ، وقالَ: «**كذبوا، الآنَ الآنَ جاءَ القتالُ**[٣]**، ولا يزالُ من أمّتي أمّةٌ يقاتلونَ على الحقِّ، ويزيغُ الله لهم قلوبَ أقوامٍ، ويرزقهم منهم حتّى تقومَ السّاعةُ**[٤]**، وحتّى يأتيَ وعدُ الله، والخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامةِ...، وعقرُ دارِ المؤمنينَ: الشّامُ**»[٥].

قال ابن الأثير: «أي أصله ومَوضعه، كأنه أشار به إلى وقت الفتَن: أي يكون الشام يومئذ آمِناً منها، وأهلُ الإسلام به أسلمُ»[٦].

والعُقر والعَقار: خيار كل شيء وأصله[٧].

---

(١) أراد أنهّم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها.

(٢) أي انقضى أمرها وخفت أثقالها فلم يبق قتال.

(٣) التكرار للتأكيد، أي: الآن اشتد القتال، فإنهم قبل ذلك كانوا في أرضهم، واليوم جاء وقت الخروج إلى الأراضي البعيدة.

(٤) أخبر ﷺ في هذا الحديث بالردة التي تقع ممن أراد الله تعالى أن يزيغ قلبه عن الإسلام، ومقاتلة المسلمين لهؤلاء المرتدين وغنيمة أموالهم.

(٥) رواه النسائي (٣٥٦١) بإسناد على شرط مسلم كما قال الألباني.

(٦) النهاية (٣/ ٥٢٩).

(٧) فيض القدير (٤/ ٤٢١).



وعُقـرُ الدار: أَصلُها، كما قـال الأصمعي، والعرب تقول: عُقرُ الكلأ وعُقَارُ الكلأ، أَي: خيارُ ما يُرعى من نبات الأَرض ويُعتَمَد عليـه، بمنزلة الدار، وهذا البيـت عُقرُ القصيدة، أَي: أَحسنُ أَبياتها[١].

١١ . والشام حصن حصين أيام الملاحم والفتن.

كما قال ﷺ: «**ألا وإنَّ الإيمانَ حينَ تقعُ الفتنُ بالشّام**»[٢].

وروى أبـو داود (٢٤٨٢) وأحمـد (٦٨٣٢) عـن عبـدِ الله بـنِ عمرٍو قالَ سـمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**ستكونُ هجرةٌ بعدَ هجرةٍ**[٣]**، فخيارُ أهـلِ الأرضِ ألزمهم مهاجرَ إبراهيمَ، ويبقى في الأرضِ شرارُ أهلهـا**[٤]**، تلفظهـم أرضوهـم**[٥]**، وتحشرهم النّارُ معَ القردةِ والخنازير**[٦]»[٧].

قال الخطابي: «معنى الهجرة الثانية الهجرة إلى الشام، يُرغِّبُ في المقام بها، وهي مهاجر إبراهيم صلوات الله عليه»[٨].

---

(١) لسان العرب (٤/ ٥٩١).

(٢) رواه أحمد (٢١٢٢٦) وصححه البيهقي، والحافظ في الفتح، والألباني.

(٣) أي: ستكون هجرة إلى الشام بعد هجرة كانت إلى المدينة.

(٤) من الكفّار والفجّار.

(٥) أي ترميهم أرضوهم، والمعنى: ترمي الأرض شرار الناس من ناحية إلى أخرى.

(٦) أي تجمعهـم وتسـوقهم النـار فيفـرون مخافـة النار مـع البهائم مـن القردة والخنازير، وليس هذا حشر يوم القيامة، ينظر: مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٠٤٠).

(٧) صححه الألباني في الصحيحة (٣٢٠٣).

(٨) معالم السنن (٢/ ٢٣٦).



وقال شيخ الإسلام: «فقد أخبرَ أنَّ خيرَ أهلِ الأرضِ ألزمهم مهاجرَ إبراهيمَ؛ بخلافِ من يأتي إليهِ أو يذهبُ عنهُ، ومهاجرُ إبراهيمَ هيَ: الشّامُ»[١].

فخيار أهل الأرض يهاجرون في آخر الزمان إلى الشام، ولا يترك الهجرة إليها إلا شرار الناس.

١٢. الشّامُ هي أرضُ المحشر والمنشر.

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**الشّامُ: أرضُ المحشرِ والمنشرِ**»[٢].

وقد جاءت عدّة أحاديث تدلُّ على أن الناس تحشرهم النار التي تخرج من جهة اليمن أو حضرموت إلى المغرب، أي: بلاد الشام.

عن عبدِ الله بنِ عمرَ قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ستخرجُ نارٌ من حضرموتَ أو من نحوِ بحرِ حضرموتَ قبلَ يومِ القيامةِ، تحشرُ النّاسَ**».

قالوا: يا رسولَ الله، فما تأمرنا؟.

قالَ: «**عليكم بالشّامِ**»[٣].

«فأشار ﷺ بالشام عند خروج النار؛ لعلمه بأنها خير للمؤمنين حينئذٍ من غيرها، والمستشار مؤتمن»[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٩).
(٢) مسند البزار (٩/ ٣٨٢)، وصححه الألباني.
(٣) رواه الترمذي (٢١٤٣) وصححه الألباني.
(٤) ترغيب أهل الإسلام (ص٤).



وروى أحمد (١٩٥٢٠) بسند جيد[١] عن معاويةَ بن حيدة عن النبي ﷺ قالَ: «**تحشرونَ هاهنا -وأومأَ بيدهِ إلى نحوِ الشّامِ- مشاةً، وركباناً، وعلى وجوهكم**».

قال الحافظ ابن كثير: «فهذهِ السّياقاتُ تدلُّ على أنَّ هذا الحشرَ هوَ حشرُ الموجودينَ في آخرِ الدّنيا من أقطارِ الأرضِ إلى محلّةِ المحشرِ، وهيَ أرضُ الشّامِ، وأنّهم يكونونَ على أصنافٍ ثلاثةٍ: فقسمٍ طاعمينَ كاسينَ راكبينَ، وقسمٍ يمشونَ تارةً ويركبونَ أخرى، وهم يعتقبونَ على البعيرِ الواحدِ...، وتحشرُ بقيّتهمُ النّارُ، وهيَ الّتي تخرجُ من قعرِ عدنَ، فتحيطُ بالنّاسِ من ورائهم، تسوقهم من كلِّ جانبٍ إلى أرضِ المحشرِ، ومن تخلّفَ منهم أكلتهُ.

وهذا كلّهُ ممّا يدلُّ على أنَّ هذا إنّما يكونُ في آخرِ الزّمانِ آخرِ الدّنيا»[٢].

فالشام هي أرض المحشر: يحشر الناس إليها قبل القيامة من أقطار الأرض.

فيهاجر إليها خيار أهل الأرض طوعاً ويجتمعون فيها، وأما شرار الناس فيحشرون كرهاً، تحشرهم النار من بلادهم إِلَى الشام[٣].

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٨٠).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٣٣٢).

(٣) ينظر: لطائف المعارف (ص: ٨٨-٨٩)،، مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٣٨).



وعن عبدالله بن عمرو قال: «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام»[١].

وعـن حذيفةَ، قالَ: «ليأتينَّ على النّاسِ زمانٌ يكونُ للرّجلِ أحمرةٌ يحملُ عليها إلى الشّامِ، أحبُّ إليهِ من عرضِ الدّنيا»[٢].

وهـي أرض المنـشر: فمنهـا يُجمـع النـاس إلى الحسـاب، فيُنشرون من قبورهم، ثم يساقون إليها.

وخُصـت بذلك ؛ لأنها الأرض التي قال الله فيها: ﴿بَـٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَـٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنبياء: ٧١]، وأكثـر الأنبياء بعثوا منها، فانتـشرت في العالمين شرائعهم، فناسـب كونهـا أرض المحشر والمنشر[٣].

قـال الحافـظ ابن رجـب: «جعل الله الشـام منتهـى الخلق والأمـر، ففي آخر الزمان يسـتقر الإيمان وأهله بالشـام، وهي أرض المحشر والنشر للأنام»[٤].

١٣ . وفي الشام تكون الملاحم الكبرى آخر الزمان.

عـن أبي الـدّرداءِ أنَّ رسـولَ الله ﷺ قـالَ: «**إنَّ فسـطاطَ**

(١) رواه الحاكم (٨٤١٣) وصححه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٨٤٢٧) بسند رجاله ثقات.

(٣) فيض القدير (٤/ ١٧١).

(٤) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٧٩).



المسلمينَ(١) يومَ الملحمةِ(٢) بالغوطةِ(٣) إلى جانبِ مدينةٍ يقالُ لها: دمشقُ، من خيرِ مدائنِ الشّام»(٤).

ومعنى الحديث: أنّ حصن المسلمينَ الّذي يتحصّنونَ بهِ يوم المقتلة العظمى في الفتن بغوطةِ دمشق.

«وهذا الحديث يدلّ على فضيلة دمشق وعلى فضيلة سكناها في آخر الزّمان، وأنّها حصن من الفتن.

ومن فضائلها أنّهُ دخلتها عشرة آلافِ عين رأت النّبيَّ ﷺ كما أفادهُ ابن عساكر، ودخلها النّبيّ ﷺ قبل النّبوّة وبعدها في غزوة تبوك وفي ليلة الإسراء»(٥).

وعن ابن مُحَيرِيز قال: «خير فوارس تُظل السماء: فوارس من قيس، يخرجون من غوطة دمشق، يقاتلون الدجال»(٦).

وقال إبراهيم بن الجنيد: سمعت يحيى بن معين وقد ذكروا عنده أحاديث من ملاحم الروم، فقال يحيى: «ليس من حديث الشاميين شيء أصح من حديث: معقل المسلمين أيام الملاحم دمشق»(٧).

---

(١) أي حصن المسلمين الذي يتحصنون به وأصل الفسطاط: الخيمة، والمراد: المكان الذي يجتمع فيه المسلمون، ويتميز صفهم من فسطاط النفاق والكفر.

(٢) وهي معركة كبيرة هائلة تقع بين المسلمين والصليبيين في آخر الزمان.

(٣) موضع بالشام كثير الماء والشجر، قال ابن الأثير: «الغوطة اسم البساتين والمياه التي حول دمشق، وهي غوطتها». النهاية (٣/ ٧٤٤).

(٤) رواه أبو داود (٤٢٩٨) وصححه الألباني.

(٥) عون المعبود (١١/ ٢٧٤).

(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر (١/ ٢٧٢).

(٧) تاريخ دمشق (١/ ٢٣١).



وروى البخاري (٢٩٤٠) عن عوف بن مالكٍ قالَ: أتيتُ النّبيَّ ﷺ في غزوةِ تبوكَ، وهوَ في قبّةٍ من أدمٍ، فقالَ: «**اعدد ستّاً بينَ يدي السّاعةِ: موتي، ثمَّ فتحُ بيتِ المقدسِ، ثمَّ موتانٌ يأخذُ فيكم كقعاصِ الغنمِ[١]، ثمَّ استفاضةُ المالِ حتّى يعطى الرّجلُ مئةَ دينارٍ فيظلُّ ساخطاً[٢]، ثمَّ فتنةٌ لا يبقى بيتٌ من العربِ إلاّ دخلتهُ[٣]، ثمَّ هدنةٌ تكونُ بينكم وبيَن بني الأصفرِ، فيغدرونَ، فيأتونكم تحتَ ثمانينَ غايةً، تحتَ كلِّ غايةٍ اثنا عشرَ ألفاً**».

وعند أحمد بسند جيد[٤] (٢٣٤٦٥): «**والسّادسةُ: هدنةٌ تكونُ بينكم وبينَ بني الأصفرِ فيسيرونَ إليكم على ثمانينَ غايةً.**

قلتُ: وما الغايةُ؟.

قالَ: الرّايةُ، تحتَ كلِّ رايةٍ اثنا عشرَ ألفاً، فسطاطُ المسلمينَ يومئذٍ في أرضٍ يقالُ لها الغوطةُ، في مدينةٍ يقالُ لها دمشقُ».

فيوم الملحمة يوم عظيم، الشام يومئذ حصن المسلمين وملاذهم من الفتن، وجنودها من خير أجناد الأرض.

---

(١) وهو داء يصيب الغنم، فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجاءة، وكذلك غيرها من الدواب. ينظر: عمدة القاري (١٥/ ١٠٠).
قال الحافظ في الفتح (٦/ ٢٧٨): «ويقالُ إنَّ هذهِ الآيةَ ظهرت في طاعونِ عمواسَ في خلافةِ عمرَ».

(٢) وقد ظهر هذا في خلافة عثمان بعد الفتوح العظيمة. ينظر: فتح الباري (٦/ ٢٧٨).

(٣) والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان واستمرت الفتن بعده. ينظر: فتح الباري (٦/ ٢٧٨).

(٤) كما ذكر ابن عبدالهادي في رسالته «فضائل الشام»، ينظر مجموع رسائل ابن عبدالهادي (ص٢٥٧).



وروى مسلم (٢٨٩٧) عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ:

«لا تقومُ السّاعةُ حتّى ينزلَ الرّومُ بالأعماقِ أو بدابقٍ(١)، فيخرجُ إليهم جيشٌ من المدينةِ(٢) من خيارِ أهلِ الأرضِ يومئذٍ. فإذا تصافّوا، قالت الرّومُ: خلّوا بيننا وبينَ الّذينَ سبوا منّا نقاتلهم.

فيقولُ المسلمونَ: لا والله، لا نخلّي بينكم وبينَ إخواننا.

فيقاتلونهم، فينهزمُ ثلثٌ لا يتوبُ الله عليهم أبداً، ويقتلُ ثلثهم أفضلُ الشّهداءِ عندَ الله، ويفتتحُ الثّلثُ لا يفتنونَ أبداً، فيفتتحونَ قسطنطينيّةَ.

فبينما هم يقتسمونَ الغنائمَ قد علّقوا سيوفهم بالزّيتونِ إذ صاحَ فيهم الشّيطانُ: إنَّ المسيحَ قد خلفكم في أهليكم! فيخرجونَ، وذلكَ باطلٌ.

فإذا جاءوا الشّأمَ خرجَ، فبينما هم يعدّونَ للقتالِ يسوّونَ الصّفوفَ إذ أقيمت الصّلاةُ، فينزلُ عيسى ابنُ مريمَ ﷺ فأمّهم، فإذا رآهُ عدوُّ الله ذابَ كما يذوبُ الملحُ في الماءِ، فلو تركهُ لانذابَ حتّى يهلكَ، ولكن يقتلهُ الله بيدهِ، فيريهم دمهُ في حربتهِ».

---

(١) موضع بالشام قرب حلب.

(٢) المراد بها مدينة حلب، لأنها المدينة القريبة من مرج دابق، وقيل: المراد المدينة النبوية، وقال في مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤١٢): «قالَ ابنُ الملكِ، قيلَ: المرادُ بها حلبَ، والأعماقُ ودابقُ موضعانِ بقربهِ، وقيلَ: المرادُ بها دمشقُ، وقالَ في الأزهارِ: وأمّا ما قيلَ من أنَّ المرادَ بها مدينةَ النّبيِّ ﷺ فضعيفٌ».



وقـال ﷺ: «إذا وقعتِ الملاحمُ خرجَ بعثٌ من دمشـقٍ منَ الموالي هم أكرمُ العربِ فرسـاً، وأجودهم سلاحاً يؤيّدُ اللهُ بهمُ الدّينَ»[١].

١٤. وبالشـام ينـزل عيسـى بـن مريم –عليـه الصلاة والسلام– في آخر الزمان.

عـن النّوّاسِ بنِ سـمعانَ في حديث الدجـال الطويل، قال ﷺ: «... فبينما هوَ كذلكَ إذ بعثَ الله المسـيحَ ابنَ مريمَ، فينزلُ عنـدَ المنارةِ البيضاءِ شرقيَّ دمشـقَ، بينَ مهرودتـينِ[٢]، واضعاً كفّيهِ على أجنحةِ ملكينِ، إذا طأطأَ رأسـهُ قطرَ، وإذا رفعهُ تحدّرَ منـهُ جمـانٌ كاللّؤلؤِ[٣]، فلا يحلُّ لكافرٍ يجدُ ريحَ نفسـهِ إلاّ ماتَ، ونفسـهُ ينتهي حيثُ ينتهي طرفـهُ، فيطلبهُ[٤]حتّى يدركهُ ببابِ لدٍّ فيقتلهُ...»[٥].

وقد اختلف في المقصود بهذه المنارة، هل هي المنارة الشرقية للمسـجد الأموي[٦]، أم هي المنارة الموجودة في شرقي دمشق، فيما يسمى اليوم بـ «باب شرقي».

---

(١) رواه الحاكـم (٨٦٤٦) وصحَّحـه على شرط البخاري، وقال الذهبي: على شرط مسلم، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٧٧٧).

(٢) معناه لابس مهرودتين، أي: ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران.

(٣) الجـمان هي حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسمي الماء جمانا لشبهه به في الصفاء.

(٤) أي للدجال.

(٥) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٦) ينظر: البداية والنهاية (٩/ ٣٠٤).



قال النووي: «وهذهِ المنارةُ موجودةٌ اليومَ شرقيَّ دمشقَ»[١].

وقال ابن رجب الحنبلي: «وظاهر ما تقدم من الأحاديث والآثار يدل عَلَى أن عيسى عليه السلام ينزل عند باب مدينة دمشق الشرقي.

وقد ذهبت طائفة إِلَى أَنَّه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي مسجد دمشق الجامع، وهو مخالف للظاهر»[٢].

١٥ . وهلاك الدجال يكون بالشام.

فتنة المسيح الدجال أكبر فتنة تكون منذ خلق آدم عليه السلام إلى يوم القيامة ؛ ومما منَّ الله به على الشام وأهله أن قتل الدجال يكون بأرض الشام.

وهو مما يدل على أن أرض الشام أرض الملاحم العظام والوقائع الجسام، والتي يكون فيها شأن الإسلام عالياً ورايته مرفوعة، فإذا سقطت راية العزِّ الخفاقة ببلاد الشام لم تُرفع بعدها أبداً.

روى مسلم (١٣٨٠) عن أبي هريرةَ عن النّبيِّ ﷺ أنّهُ قالَ: **«يأتي المسيحُ[٣] من قبلِ المشرقِ همّتهُ المدينةُ، حتّى ينزلَ دبرَ أحدٍ، ثمَّ تصرفُ الملائكةُ وجههُ قبلَ الشّامِ، وهنالكَ يهلكُ»**.

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٧).

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٧٦).

(٣) يعني الدجال.



١٦. والشام معقل المسلمين من يأجوج ومأجوج.

في حديث النواس بن سمعان عند مسلم (٢٩٣٧) بعد ذكر مقتل الدجال قال: «**ثمَّ يأتي عيسى ابنَ مريمَ قومٌ قد عصمهم الله منهُ، فيمسحُ عن وجوههم ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنّةِ، فبينما هوَ كذلكَ إذ أوحى الله إلى عيسى إنّي قد أخرجتُ عباداً لي لا يدانِ لأحدٍ بقتالهم، فحرّز عبادي إلى الطّورِ[1]، ويبعثُ الله يأجوجَ ومأجوجَ وهم من كلِّ حدبٍ ينسلونَ... فيرغبُ نبيُّ الله عيسى وأصحابهُ فيرسلُ الله عليهم النّغفَ[2] في رقابهم فيصبحونَ فرسى[3] كموتِ نفسٍ واحدةٍ**».

فعند باب لُدّ -وهو موضع بالشام- يُقتل الدجال.

وعند جبل الطور -وهو بالشام- يكون الاحتراز من فتنة يأجوج ومأجوج.

ثم يأذن الله بالخير والبركة وغبطة العيش.

فالحاصل أنَّ: «الشام تبقى عامرةً فيها أهلُها بعد خراب المدينة، وبعد خروج الدَّجَّال، ونزول عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وبعد ظهور النَّار التي هي من أول أشراط الساعة، وبعد بعث الله الرِّيح الطَّيِّبة التي تقبض أرواح المؤمنين»[4].

---

(١) أي ضمهم واجعله لهم حرزا.

(٢) وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة: نغفة.

(٣) أي قتلى.

(٤) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٣٥).



«فـإذا كان الشـام وأهلـه عنـد الله بهـذه المنزلـة، وكانوا في حراسـته وكفالته، ودلَّت الأدلَّة على أنَّ دمشق خير بلاد الشام -يعنـي: بعد بيـت المقدس-؛ فلذلك أخبر السـلفُ وشـاهد الخَلَفُ: أنَّ مَن مَلَكَ دمشـق، فبسـط عـلى أهلها الفضل ونشر فيهـم العـدل؛ فإنَّ النصر ينزل عليه من السـماء، مع ما يحصل لـه من وُدٍّ في قلوب الأبـرار والعلماء والأخيـار، ومع ما يُلقيه الله تعالى من الرُّعب في قلوب الأعداء.

ومَـن عاملَهم بخـلاف ذلك؛ فأحلَّ بهم شـيئاً من الضراء، وأنزل بهم نوعاً من البأسـاء، أو أخذهـم بالجبروت والكبرياء؛ **فإنَّ الله تعالى لا يُمهله، ولا يهمله، بل يُعاجله باستلاب ملكه في حياته، أو بإلقائه في أنواع البلاء وأبواب الشقاء**؛ وذلك أنهم في كفالة ربِّ الأرض والسماء، كما أخبر به خاتم الأنبياء ﷺ»[1].

ولكـن لا بـد أن نعلم أن قداسـة البـلاد وفضلهـا لا تنفع الإنسان إذا لم يصحب ذلك عمل صالح.

فالفضيلـة الدائمة في كل وقت ومـكان، إنما هي في الإيمان والعمل الصالح، فأي مـكان وأي زمان كان أعونَ للعبد على هذا المقصود كان أفضل في حقه، وأتم لدرجته عند ربه.

فعن عبدالله بنِ هبيرةَ قالَ: كتبَ أبو الدّرداءِ إلى سلمانَ: أن هلمَّ إلى الأرضِ المقدّسةِ وأرضِ الجهادِ، وكانَ أبو الدّرداءِ يلي القضاءَ بالشّامِ.

---

(١) ترغيب أهل الإسلام (ص١٠)، بتصرُّف.



فكتبَ إليهِ سلمانُ: «إن الأرضَ لا تقدّسُ أحداً، وإنّما يقدّسُ المرءَ عملهُ»[١].

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١٥٠٠)، والدينوي في المجالسة وجواهر العلم (٤/ ٦٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ١٠١٩).



العلم والعلماء في بلاد الشام

ما زالت الشام منارةً للعلم والعلماء على مر التاريخ، جذَّابةً للعلماء، يرحلون إليها، ويقطنون بها، من عهد الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا.

قال ابن حبان -رحمه الله-: «الشام موضع الأنبياء والمرسلين، ومركز الأولياء والصالحين»[1].

وقد نزلَ بها عددٌ كبيرٌ من صحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم، فمنهم مَن كان في جيش الفتح، ومنهم مَن دخلها بعد ذلك.

حتى قال الوليد بن مسلم: «دخلتِ الشامَ عشرةُ آلاف عين رأت رسول الله ﷺ»[2]!

وعنهم أخذَ العِلمَ جملةٌ وفيرةٌ من علماء التابعين وساداتهم.

فمِمَّن نزلَها من الصحابة الكرام:

من القادة والأمراء: أبو عُبيدَة عامر بن الجرَّاح، وخالد

(١) مشاهير علماء الأمصار (١/ ٨٤).
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١/ ٣٢٧).



ابـن الوليد، وشُرَحبيل بن حسـنة، وعياض بـن غَنم الفِهري، وشُرَحبيل بن السِّـمط الكندي، وحبيب بن مسـلمة الفهري، وسـعيد بـن عامـر الجُمَحـيّ، وفَضالة بـن عُبَيـد الأنصاري، ومعاوية بن أبي سفيان، مؤسِّس الدولة الأمويَّة بالشام.

وهؤلاء كلُّهم من الأمـراء القادة، الذين تتابعوا على ولاية الشام وأقطارها.

ومن عامة الصحابة: بلال بن رباح، وسعد بن عُبادة، وأبو مالك الأشـعري، وأبو ذَرّ الغفـاري، والفضل بن العبَّاس بن عبدالمطلب، وعوف بن مالك الأشجعي، وثوبان مولى رسول الله ﷺ، وأبو الدَّرداء، وشـدَّاد بن أوس، وواثلة بن الأسـقع، والعِربـاض بن سـارية، وأبـو أُمامـة الباهلي، وتميـم الدَّاري، والمِقدام بن مَعدِي كَرِب، وغيرهـم كثير، رضي الله عنهم جميعاً.

ومن علماء الشام على مر القرون:

- **أبـو مسـلم الخـولاني** (ت ٦٢ هـ): الفقيه العابـد الزاهد، ريحانة الشـام، وقارئُهم، من سادات التابعين، كان يُقال عنه: حكيم هذه الأُمَّة.
- **عبدالرحمـن بن غَنـم الأشـعري** (ت ٧٨هـ): فقيه الشـام وشـيخ أهل فلسـطين، بعثه عمر إلى الشـام ليفقِّه أهلها ؛ فتفقَّه عليه تابعو أهل الشام.
- **أبو إدريس الخولاني**، (ت ٨٠هـ): عالم أهل الشام بعد أبي



الدرداء، وقاضي دمشق أيام عبدالملك بن مروان، كان من أهل الفقه في الدِّين.

- **قبيصة بن ذؤيب** (ت ٨٦هـ): الإمام الكبير الفقيه، قال الزهري: «كان قبيصة بن ذؤيب من علماء هذه الأُمَّة»[١].

- **بلال بن أبي الدرداء الأنصاري (ت ٩٣هـ)**: قاضي دمشق، قال الإمام البخاري: «بلال أمير الشام»[٢].

- **عمر بن عبدالعزيز** (ت ١٠١هـ): أمير المؤمنين، الإمام العادِل، والعالِم العامِل، المجتهِد العابِد الزاهد، بُويع له بالخلافة في مسجد دمشق؛ فنهضَت في عصره مدرسة الشام نهضة علميَّة كبيرةً.

- **بلال بن سعد السكوني** (توفي بعد ١١٠هـ): الإمام الرباني الواعظ، شيخ أهل دمشق وقارئهم، كان لأهل الشام كالحسن البصري بالعراق، قال الأوزاعي: «لم أسمع واعظاً قط أبلغ من بلال بن سعد»[٣].

- **رجاء بن حيوة** (ت ١١٢هـ): من أجِلَّة التابعين الفقهاء، وشيخ أهل الشام وسيِّدهم، وكبير الدولة الأمويَّة. روى عن: معاوية بن أبي سفيان، وأبي أمامة صُدَيّ بن عَجلان.

---

(١) السير (٤/ ٢٨٢).
(٢) السير (٤/ ٢٨٥).
(٣) السير (٥/ ٩٠).



- **مكحول الشامي** (ت ١١٣هـ): إمام أهل الشام وأفقههم في زمانه، لم يكن في زمنه أبصر بالفُتيا منه، وهو شيخ الأوزاعي.
قال سعيد بن عبدالعزيز: «كان أفقه أهل الشام، وكان أفقه من الزهري»، وقال عنه الزهري: «العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة... ومكحول بالشام»[1].

- **عبدالله بن عامر اليَحصَبي** (ت ١١٨هـ): إمام أهل الشام في القراءة، وأحد القُرَّاء السبعة.

- **سليمان بن موسى الأشدق** (ت ١١٩هـ): الإمام الكبير الفقيه، مُفتي دمشق، قال سعيد بن عبدالعزيز: «كان أعلم أهل الشام بعد مكحول، ولو قيل لي: مَن أعلم الناس؟ لأخذتُ بيد سليمان»[2].

- **الأوزاعي، عبدالرحمن بن عمرو** (ت ١٥٧هـ): شيخ الإسلام، وإمام أهل الشام في الفقه والزُّهد، قيل: إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وصار يُعمل بمذهبه في الشام نحو مائتي سنة.

- **سعيد بن عبدالعزيز التنوخي الدِّمشقيّ** (ت ١٦٧هـ): فقيه أهل دمشق ومُفتيهم بعد الأوزاعي، قال عنه الحاكم: «هو لأهل الشام كمالك لأهل الحجاز في التقدُّم والفقه»[3].

---

(١) تاريخ دمشق (٦٠/ ١٩٧)، والسير (٥/ ١٥٥).
(٢) السير (٥/ ٤٣٣).
(٣) تاريخ دمشق (٢١/ ١٩٣)، وتذكرة الحفَّاظ (١/ ١٦١).



• **أبـو إسـحاق الفـزاري** (ت ١٨٦ هـ): الإمـام الكبـير، الحافظ، المجاهد، قال الشافعي: «لم يصنف أحد في السير مثل كتاب أبي إسحاق».

وقال أبو حاتم: «اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمام يقتدى به، بلا مدافعة»[1].

• **الوليد بن مسلم الدمشقي** (ت ١٩٥هـ): الإمام الحافظ، عالم أهل دمشق في عصره، كان من أوعية العِلم وحفَّاظ الحديث، قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما رأيتُ في الشاميِّين أعقل منه»[2].

• **أبو سليمان الدَّاراني** (ت ٢٠٥هـ): الإمام الزَّاهد الصالح.

• **عبدالله بن ذكوان** (ت ٢٤٢هـ): مقرئ دمشق وإمام الجامع، قال أبو زرعة الدمشقي: «لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخُراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه»[3].

• **هشام بن عمار** (ت ٢٤٥هـ): شيخ أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومُحَدِّثهم ومُفتيهم، أحد شيوخ البخاري وأبي داود والنسائي وغيرهم.

• **دُحيم عبدالرحمن بن إبراهيم الدمشقي** (ت ٢٤٥ هـ):

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٩).

(٢) تذكرة الحفَّاظ (١/ ٢٢١)، والسير (٩/ ٢١١).

(٣) معرفة القُرَّاء الكبار (١/ ١٩٩).



القاضي، الإمام، الفقيه، الحافظ، محدث الشام، وقاضي مدينة طبرية.

- **أبو زرعة الدمشـقي** (ت ٢٨٠هـ): الإمام الحافظ، محِّدث الشام، صاحب كتاب التاريخ وعِلَل الرِّجال.

- **أبو مُسـهِر الغسَّـاني، عبدالأعلى بن مُسـهِر** (ت ٢١٨هـ): شيخ أهل الشام وعالِمهم بالحديث والمغازي والأنساب، قـال يحيـى بـن معين: «منـذ خرجتُ مـن بغـداد إلى أن رجعتُ ما رأيتُ مثل أبي مسهر»[1].

- **محمـد بن عـوف الطائـي الحمـصي** (ت ٢٧٢هـ): مُحَدِّث الشـام، قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما كان بالشـام منذ أربعين سنة مثل محمد بن عوف»[2].

- **أبـو القاسـم الطـبراني** (ت٣٦٠ هـ): الإمـام، الحافـظ، الثقة، الرحال، الجوال، محدث الإسلام، وصاحب المعاجم الثلاثة.

- **عبدالله بن عطية الدمشـقي** (ت ٣٨٣هـ): المقرئ المفسِّر، قيـل: كان يحفـظ خمسـين ألـف بيـت للاستشـهاد على معانـي القرآن واللُّغـة.

- **نـصر بن إبراهيم المقدسي النابلـسي** (ت ٤٩٠هـ): الإمام، شيخ الشافعيَّة بالشام في عصره.

---

(١) التذكرة (١/ ٢٧٩)، والسير (١٠/ ٢٢٨).
(٢) التذكرة (٢/ ١٢١)، والسير (١٢/ ٦١٣).



- **ابن القيسراني، محمد بن طاهر المقدسي** (ت ٥٠٧هـ): الإمام الحافظ، الرَّحَّالة المؤرِّخ، صاحب (أطراف الغرائب والأفراد)، و(أطراف الكتب السِّتَّة)، وغيرهما.
- **الحافظ أبو القاسم ابن عساكر** (ت ٥٧١هـ): محدِّث الشام ومؤرِّخها، صاحب تاريخ دمشق.
- **عبدالغني المقدسي** (ت ٦٠٠هـ): الإمام الحافظ، صاحب عمدة الأحكام، والكمال في أسماء الرجال.
- **ابن قدامة المقدسي** (ت ٦٢٠هـ): الإمام الفقيه، المجتهِد، من أكابر علماء الحنابلة في عصره، صاحب كتاب المغني.
- **ياقوت بن عبدالله الحَمَوي** (ت ٦٢٦هـ): الإمام المؤرِّخ، اللُّغوي الأديب، صاحب (معجم البلدان)، و(معُجمَ الأدباء).
- **ابن أبي الدّم** (ت ٦٤٢هـ): الإمام المؤرِّخ، من علماء الشافعيَّة، قاضي حَمَاة، وُلِدَ وتُوفِّي بها، وتفقَّه ببغداد وغيرها، صاحب كتاب أدب القاضي.
- **ضياء الدِّين المقدسي** (ت ٦٤٣): الإمام الحافظ المحدِّث، صاحب «الأحاديث المختارة»، بنى بدمشق مدرسة دار الحديث الضيائية المحمَّدية، ووقف بها كتبه.
- **ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري** (ت ٦٤٣هـ): الإمام، الفقيه، المحدِّث، وليَ التدريس



في المدرسـة الصلاحيـة ببيت المقدِس، ثـم دار الحديث بدمشق.

- **أبو البركات مجد الدين بن تيميَّة** (ت ٦٥٢هـ): جدّ شـيخ الإسلام، الإمام الفقيه المحدِّث المفسِّر، صاحب المنتقى من أحاديث الأحكام، والمحرَّر.

- **عَلَم الدين السخاوي الدمشـقي** (ت ٦٥٧هـ): كان شيخ القُـرَّاء، وإمامـاً في العربيَّـة، بصيراً باللُّغة، فقيهـاً مُفتياً، بارعاً في التفسير.

- **سـلطان العلـماء: العـز بـن عبدالسـلام،** (ت ٦٦٠هــ): الإمـام الفقيـه، جمع بين فنون العلم من التفسـير والفقه والأصـول، وبلـغ رتبـة الاجتهاد، وصنـف التصانيف المفيدة، منها القواعد الكبرى والصغرى.

- **ابـن العديم، عمر بن أبي جـرادة الحلبي (ت ٦٦٠ هـ):** المؤرِّخ المشهور، رئيس الشام، صاحب «بُغية الطلب في تاريخ حَلَب»، ومختصَره «زبدة الحلب في تاريخ حلب».

- **أبـو شـامة المقـدسي (ت٦٦٥هــ)**: المـؤرِّخ المحـدِّث، والفقيـه المجتهد، صاحب كتـاب: الروضتَين في أخبار الدولتَـين: النوريـة والصلاحية، وكتـاب: الباعث على إنكار البِدَع والحوادِث.

- **النـووي يحيى بـن شرف (ت ٦٧٦هـ)**: الإمـام الفقيه،



المجتهِد المشهور، والزاهد العابد، من مؤلفاته: المجموع، ورياض الصالحين، والأذكار.

- **ابن خَلِّكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)**: المؤرِّخ، الفقيه، صاحب: وفيات الأعيان.

- **ابن البخاري، فخر الدِّين علي بن أحمد بن عبدالواحد المقدسي (ت ٦٩٠هـ)**: محدِّث الإسلام ومسنِد الدُّنيا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ينشرح صدري إذا أدخلتُ ابنَ البخاري بيني وبين ﷺ في حديث»[١].

- **شمس الدِّين البعلي (ت ٧٠٩هـ)**: الإمام، الفقيه الحنبلي، المحدِّث، اللُّغوي، صاحب (المُطلِع على أبواب المُقنِع) في تفسير غريب ألفاظ الفِقه الحنبلي، وُلِدَ ونشأ ببَعلَبَكّ، ونزل دمشق، وتُوفِّي بالقاهرة.

- **شيخ الإسلام ابن تيمية** (ت ٧٢٨هـ): الإمام المشهور، المجتهِد، الفقيه، المفسِّر، القُدوة.

- **أبو الفِداء، إسماعيل بن علي** (ت ٧٣٢هـ): المؤرِّخ الجغرافي المشهور، صاحب كتاب: المختصر في أخبار البشر، المعروف بـ تاريخ أبي الفِداء.

- **بدر الدِّين بن جماعة** (ت ٧٣٣هـ): الفقيه، المحدِّث، القاضي، صاحب الكتاب المشهور (تذكرة السامع

---

(١) انظر: شذرات الذهب لابن العماد (٥/ ٤١٤)، والأعلام (٤/ ٢٥٧).



والمتكلم في آداب العالم والمتعلِّم) و(المنهل الرَّويّ في مختصر علوم الحديث النبوي)، ووَلِيَ الخطابة بالقُدس، والقضاء بمصر والشام، كان من خيار القضاة، وكان صاحب دِين وتعبُّد ونزاهة.

- **عَلَم الدِّين البرزالي** (ت ٧٣٩هـ): مؤرِّخ الشام، والحافظ المحدث المتقن.
- **أبو الحجَّاج المِزِّيّ** (ت ٧٤٢هـ): الإمام الحافظ المحدِّث، صاحب: تهذيب الكمال.
- **ابن عبدالهادي، محمد بن أحمد** (ت ٧٤٤هـ): الإمام الحافظ المحدِّث، الحنبليّ، صاحب: المحرَّر، والعقود الدُّريَّة.
- **شمس الدِّين الذهبي** (ت ٧٤٨هـ): الإمام الحافظ، صاحب: سير أعلام النُّبلاء، وتاريخ الإسلام.
- **السَّمين الحلبي** (ت ٧٥٦هـ): الإمام المفسِّر، اللُّغوي، الشافعي، من أهل حلب، استقرَّ واشتهر بالقاهرة، صاحب: الدُّرّ المصون من علوم الكتاب المكنون، في إعراب القرآن الكريم.
- **تقي الدين السُّبكي أبو الحسن علي بن عبدالكافي** (ت ٧٥٦هـ): الفقيه الشافعي، والأصولي، اللغوي، المقرئ.
- **ابن مفلح، محمد بن مفلح** (ت ٧٦٣هـ): الإمام الفقيه، صاحب: الفروع، والآداب الشرعيَّة.



- **ابن قيِّم الجوزيَّة، محمد بن أبي بكر** (ت ٧٥١هـ): الإمام الحافظ الفقيه المجتهِد، صاحب (زاد المعاد) و(إعلام الموقِّعين) و(مدارج السالكين)، وغيرها من المؤلَّفات النافعة.
- **الحافظ العلائي أبو سعيد صلاحُ الدِّين خليلُ بنُ كَيكَلدي الشَّافعي** (ت ٧٦١هـ): كان إماماً في الفقه والأصول، متفنناً في علم الحديث ومعرفة الرجال، ومن تصانيفه: المجموع المُذهب في قواعد المَذهب، وتلقيحُ الفُهومِ في صيَغِ العموم.
- **صلاح الدِّين الصفدي، خليل بن أيبك** (ت ٧٦٤هـ): الأديب المؤرِّخ، صاحب (الوافي بالوَفَيات).
- **الحافظ ابن كثير الدمشقي** (ت ٧٧٤هـ): الإمام المفسِّر المؤرِّخ الفقيه، صاحب (التفسير) و(البداية والنِّهاية).
- **محمد بن شاكر الكتبي** (ت ٧٦٤هـ): المؤرِّخ، صاحب (فوات الوَفَيات).
- **ابن رجب الحنبلي** (ت ٧٩٥هـ): الإمام الفقيه المحدِّث، صاحب (جامع العلوم والحِكَم) و(شرح عِلَل الترمذي)، وغيرها من المؤلَّفات النافعة.
- **ابن الجَزَريّ** (ت ٨٣٣هـ): شيخ المُقرئين في زمانه، صاحب (النشر في القِراءات العشر)، و(المقدِّمة الجزريَّة)، كان له بدمشق مدرسة سمَّاها (دار القرآن).



- **ابن اللَّحَّام البعلي** (ت ٨٠٣هـ): الإمام الفقيه الحنبلي المشهور، صاحب (الأخبار العلمية في اختيارات الشيخ تقي الدين ابن تيميَّة)، و(المختصر في أصول الفقه)، و(القواعد) في الفقه الحنبلي، وُلِدَ ببَعلَبَكّ.

- **سِبط ابن العجمي، البرهان الحلبي** (ت ٨٤١هـ): الإمام المحدِّث المشهور، من كبار فقهاء الشافعيَّة، شيخ حلب ومحدِّثها، صاحب (الاغتباط بمَن رُمِيَ من الرُّواة بالاختلاط).

- **برهان الدين البِقاعي** (ت ٨٨٥ هـ): صاحب تفسير: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، وهو من البقاع في لبنان.

- **أبو الحسن المرداوي الدمشقي الصَّالِحي الحنبلي** (ت ٨٨٥ هـ): تصدى للإقراء بِدِمَشق ومصر وللإفتاء، وانتهت إليه رئاسة المذهب، ومن كتبه: الإنصاف في معرفَة الرَّاجِح من الخلاف، وهو عالم متقن مُحَقّق لكثير من الفُنُون، منصف منقاد إلى الحق، متعفف ورع.

- **نجم الدِّين الغزِّي الدِّمشقي** (ت ١٠٦١هـ): المؤرِّخ، المُحَدِّث، الفقيه، صاحب «الكواكب السائرة في تراجم أعيان المئة العاشرة».

- **ابن العِماد** (ت ١٠٨٧هـ): الفقيه، المؤرِّخ، صاحب «شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب».



- **عبدالقادر التغلبي** (ت ١١٣٥هـ): الفقيه الحنبلي، صاحب كتاب: نيل المآرب شرح دليل الطالب.
- **مصطفى الرحيباني** (ت ١٢٤٣هـ): الفقيه الحنبلي، صاحب: «مطالب أولي النُّهى في شرح غاية المُنتهى».
- **ابن عابدين الحنفي** (ت ١٢٥٢ هـ): فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية فى عصره، مولده ووفاته فى دمشق، وله الحاشية المشهورة: «رد المحتار على الدر المختار».
- **حامد العطَّار** (ت ١٢٦٣هـ): المحدِّث المفسِّر.
- **طاهر الجزائري ثم الدِّمشقي** (ت ١٢٦٨هـ): الفقيه المُفتي المحدِّث.
- **عبدالسلام الشطي** (ت ١٢٩٥هـ): إمام الحنابلة في الجامع الأموي.

وبرزَ في القرن الرابع عشر علماءُ كثيرون مشهورون؛ منهم:

- المحدِّث الفقيه: سليم العطَّار (ت ١٣٠٧هـ).
- وعلامة الشام: جمال الدِّين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ).
- والفقيه الحنبلي: عبدالقادر بن بدران الدومي (ت ١٣٤٦هـ).
- والمحدث الأكبر: بدر الدِّين الحسني (ت ١٣٥٤هـ).
- ومحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) صاحب مجلة المنار.
- والأديب الشاعر: مصطفى الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ).



- ومؤرِّخ حلب: محمد راغب الطَّبَّاخ (ت ١٣٧٠هـ).
- ومحمد كُرد علي (ت ١٣٧٢هـ) مؤسِّس المجمع العلمي العربي بدمشق.
- ومحب الدِّين الخطيب (ت ١٣٨٩هـ) صاحب المكتبة السلفيَّة بالقاهرة.
- وخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) صاحب كتاب الأعلام.
- والفقيه الأصولي: أحمد الزرقا (ت ١٣٥٧هـ).
- ومحمد علي الدقر (ت ١٣٦٢هـ).
- ومصطفى السباعي (ت ١٣٨٤هـ).
- ومحمد محمود الحامد (ت ١٣٨٩هـ).
- والمصلح الأديب: محمد بهجة البيطار (ت ١٣٩٦هـ).
- والشيخ العلامة: محمد أمين المصري (ت ١٣٩٧).
- والمربي الجليل: حسن حبنكة الميداني (ت ١٣٩٨هـ).
- والأديب الأريب: علي الطنطاوي (ت١٤٢٠هـ).
- ومصطفى بن أحمد الزرقا (ت ١٤٢٠هـ).
- ومحدث الشام: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
- وعبدالغني الدقر (ت ١٤٢٣هـ).
- والشيخ عبدالقادر الأرناؤوط (ت ١٤٢٥هـ).
- ومصطفى سعيد الخن (ت ١٤٢٩هـ).



- ومحمد سليمان الأشقر (ت١٤٣٠هـ).
- وعبدالرحمن الباني (ت ١٤٣٢هـ).
- وعمر سليمان الأشقر (١٤٣٣ هـ).

وغيرهم كثير، فالشام بلد العِلم والعلماء في كلِّ عصر وقرن؛ فلم يخلُ قرنٌ من القرون ولا عصرٌ من العصور منذ الفتح الإسلامي لدمشق من علماء عامِلين، وأئمَّة مُصلحين كبار، تألَّقت نجومُهم وازدهرَت علومهم، ولا يزال المسلِمون ينهلون من علومهم حتى الساعة.

فاللهمَّ أعِد للشام مجدَها، وفُكَّ أسرها، وقوِّ شوكةَ أهلها، واجعلها منارةً للعِلم والعلماء كما كانت.. آمين.







الجهاد والرباط في بلاد الشام(١)

أهـل الشـام هـم أهـل القيـادة والريـادة، وأهـل الجهـاد والرباط، وصدِّ هجمات أعداء الإسلام، منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الساعة.

فكانت الشام عاصمة الأمويين، وكانت دولتهم خير دولة وأعزها في الإسلام بعد الخلافة الراشدة، وأكثرها فتوحاً.

ورغـم أن عمـر دولتهم لم يبلـغ قرناً من الزمـن، فإن أكبر فتـوح الإسـلام انطلقت منهـا؛ إذ امتدت فتوحهـا من الصين شرقاً إلى الأندلس وفرنسـا غرباً، ومن بحر قزوين في الشـمال إلى المحيط الهندي في الجنوب، وكادت أن تفتح أوربا بأكملها.

وكان للدولـة الزنكية والأيوبية في الشـام جهود عظيمة في جهاد الصليبيين؛ إذ قام السـلطان نـور الدين محمود بن زنكي بتخليص الشـام وأهلها من الصليبيِّين، كـما قام صلاح الدين الأيوبي بتحرير القدس والمسجد الأقصى.

---

(١) ينظـر: «بـلاد الشـام ارض ربـاط وجهاد وحسـم إلى يوم القيامة: دراسـة حديثة تاريخية»، لمحمد بن سعيد البارودي.



وعلى أرض الشـام وقعت المعارك العظـام، مثل اليرموك، وحطين، وعين جالوت، وشقحب، وميسلون.

فلم تزل أرض الشام على مر الزمان أرض الجهاد والرباط، وهـي أرض الحسـم بـين المسـلمين واليهـود في آخـر الزمان، وبينهم وبين الروم في الملحمة الكبرى، وبينهم وبين الدجال.

طمع الدول والحضارات في بلاد الشام:

لقد غزا الشـام غُـزاةٌ كُثيرون مُتنَوِّعـون في عصور مختلفة، لكن المُجاهدين من أبنائها، ومن محبِّيها قهروا الغزاة، وردُّوهم بعون الله خائبين.

وقـد بـدأت المُواجهة الحربية بين المسـلمين والـروم في حياة النبي ﷺ في غزوة تبوك، حتى فتحها المسلمون في عهد الخليفتين الراشدين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه في معارك حاسـمة أهمُّها: معركة اليرموك بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، ثم فتح دمشق بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

وبعـد معارك دامية اندحر الروم من الشـام، ورحَل هرقل مـن حمص مُوَدِّعاً سـورية وداعه الأخير، وهـو يقول: «عليك السلام يا سورية، سلاماً لا اجتماع بعده»[١].

ولم ييأس الروم من اسـتعادة الشـام، فقاموا بغزوها مراراً، وأرسـلوا الحمـلات الصليبيـة تـترى، الحملـة تلـو الأخرى،

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٣).



وارتكبوا خلالها كثيراً من المجازر، وأهلكوا الزرع والضرع وأحرقوا الأخضر واليابس، وعاثوا في الأرض الفساد، وقتّلوا ومثّلوا وانتهكوا الحرمات، وقُتل في بيت المقدس أكثر من سبعين ألفاً، وفي معرة النعمان نحو هذا العدد أيضاً.

واستمر جهاد المسلمين ضد الصليبيين دون توقف على مدى عقود من الزمن، وكانت معركة حطين بداية النهاية للحملات الصليبية على بلاد الشام.

وفي سنة (٦٥٨) هـ، قصد التتارُ بلادَ الشام، ووصلوا إلى حلب، فحاصروها، ثم افتتحوها بالأمان، وغدروا بأهلها، وقتلوا منهم خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل، واستباح تيمورلنك مدينة حلب وبنى من رؤوس القتلى تلالاً، وهدم ما فيها من مساجد ومدارس، ونهب جنده الأموال، وجاسوا خلال الديار، وسبوا النساء والأطفال، وجرى على أهل حلب قريب مما جرى على أهل بغداد من الهوان. وكذلك فعلوا مع أهل دمشق وحماة.

ولما بلغ السلطانَ المُظَفَّر قُطُز صاحب مصر ما فعل التتار بالشام، وأنهم قد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة، وعزموا على دخول مصر، بادرهم قبل أن يبادروه، فخرج إليهم في عساكر مصر والشام، بعد أن اجتمعت الكلمة عليه، فقاتل بهم التتارَ في معركة «**عين جالوت**»، في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، فاقتتلوا قتالاً عظيماً.



وهزمهم المسلمون هزيمة هائلة، وقُتل أمير المغول وجماعة مـن بيته، واتبعهم الجيش الإسـلامي يقتلونهم في كل موضع، وطهـروا البـلاد من شرهـم، فقطع دابـر القوم الذيـن ظلموا والحمد لله رب العالمين.

ولما كَسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراءهم، ودخل دمشـق في أبهة عظيمة، وفرح به الناس فرحا شـديدا، ودعوا له دعاء كثيرا، واسـترد حَلَبـاً من يد هولاكو، وعاد الحق إلى نصابه.

ثم عاود التتار الكرة لغزو الشام، فكانت معركة «شقحب» في الثاني من رمضان سنة (٧٠٢) هـ.

وكانـت معركـة حاسـمة بين جيـوش المسـلمين من مصر والشـام، ومعهـم السـلطان النـاصر محمد بن قـلاوون، وبين جيـوش التتار ومـن حالفهم من النصـارى، فالتحم الصفان، واحتـدم القتـال إلى أن جعـل الله الدَّبَـرة عـلى أعدائـه، ومنح المسلمين أكتافهم، فريقاً يقتلون ويأسرون فريقاً.

وكان لشـيخ الإسـلام ابـن تيمية ولغـيره من العلـماء دورٌ عظيـمٌ في هـذه المعركة، فقـد كان يُثَبِّـتُ عزائم الجنـد ويقوي قلـوب المجاهديـن، بـل شـارك بنفسـه في القتـال، وطاف في الجيش يقوي قلوبهم، ويُشَـجِّعُهم، ويُقسِـم للأمـراء والناس أنهم في هذه الكرَّة منصورون، فيقول له الأمراء: قل: إن شـاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً.



وأفتـى الناسَ بالفطـر مُدَّة قتالهم، وأفطر هـو أيضاً، وكان يـدور عـلى الأجنـاد والأمـراء، فيأكل مـن شيء معـه في يده؛ ليُعلِمَهـم أن إفطارهـم؛ ليتقَـوَّوا بـه عـلى القتـال أفضـلُ من صيامهم[1].

وكذلـك حاول الباطنية من العبيديين والقرامطة السـيطرة على بلاد الشام مراراً، وتم لهم ذلك في بعض الأوقات، لكنهم لم يتمكنوا من حكمها، ولم ينعموا فيها بالاسـتقرار؛ لاستمرار حركة الجهاد ضدهم.

وفي العـصر الحديـث: أعـاد الفرنسـيون سـيرة أجدادهم باحتـلال بـلاد الشـام، وتصدى لهم أهل الشـام بكل بسـالة، حتى حرروا البلاد منهم في النهاية.

وسـاعد النصيريـون عـلى مـر التاريـخ: الصليبيـين، والتتار، والفرنسيين في غزو بلاد الشام، بل قاموا بتقديم عريضة للحكومة الفرنسـية متضمنـة العـداء للعـرب والمسـلمين، والتعاطـف مع اليهود في فلسطين، والطلب بإيجاد دولة علوية في سوريا.

وعـن طريق المكـر والخداع، والتعاون مع أعداء الإسـلام استطاع النصيرية مؤخراً الوصول إلى سُدَّة الحكم في سوريا.

فنسـأل الله أن يعز الإسـلام وينـصر المسـلمين ، وأن يعيد لبلاد الشـام مجدها ومكانتها ، ونحـن متفائلون بكل خير على

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٢٣).



كل حـال ، ويكفينـا قول نبينا ﷺ: «**بَـشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّـنَاءِ، وَالرِّفْعَـةِ، وَالنَّـصْرِ، وَالتَّمْكِـينِ فِي الْأَرْضِ**»[1]، وبقـي الأخـذ بالأسباب والعمل لهذا الدين ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾.

فاللَّهـمَّ مكّـن لعبـادك المسـلمين المسـتضعفين ، وأهلِـك المعتدين الظالمين الأذلّين.



---

(١) رواه أحمد (٢١٢٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٢٥).



سُوريَا عَرُوسُ الشَّامِ

يـا سـوريا، يـا فخـر أهل الشـام

يـا عُقـر دارِ كتائـبِ الإسـلامِ

كـم مـن نبـيٍّ في رُبُوعكِ قـد دعا

لله لا لعبـادةِ الأصنـامِ

أرضٌ مباركـةٌ، وشـعبٌ طيـبٌ

يأبـى الخُضُـوعَ لغاشـمٍ ظَـلاَّمِ

ورث البسـالة والشَّـجاعة والفدا

مـن كل قـرمٍ فـارسٍ مقـدامِ

بوركـتِ نبـعَ العِلـمِ نبعـاً صافياً

يَـروي عطـاش السـادة الأَعـلامِ

بُوركـتِ مهـداً للحضـارةِ جذرهُ

مُتأصـلٌ في سـالف الأَيَّـامِ

بوركـتِ حضنـاً حانيـاً متلطفـاً

يغذو الصغار؛ لحمل كل حُسـامِ



بوركتِ يـا قبر الغُزاة، وتعسـهم

في ليـلِ بـأسٍ، أو نهـارٍ دامِ

كـم ذا غـزاكِ المعتـدون وظنُّهُـم

أن ينعمـوا عينـاً بنيـل مـرامِ

لكنهـم خابـوا، وضُلِّـلَ سـعيهم

لك يا عروس الشـام ألف سـلامِ



طوبى للشام

ثَبت لإقليم الشام وأهله مناقبُ بالكتاب والسنة وآثارِ العلماء، وفضائلُ تلك الديار وفضائلُ أهلها مشهورةٌ معلومة؛ ففي أرضِ الشام المسجدُ الأقصى، وفيها مبعثُ أنبياءِ بني إسرائيل، وإليها هجرةُ خليلِ الرحمن إبراهيم، وإليها مَسرَى نبيّنا، ومنها معراجُه. وهي مَنزلُ الإيمان، وصفوةُ الله من أرضه، وبها عمودُ الكتاب، دعا النبي ﷺ لها بالبركة، وتكفّلَ الله بها وبأهلها، وملائكتُه باسطةٌ أجنحتَها عليها، تَحُفُّها وتَحوطُها، بإنزالِ البركات، ودفعِ المهالك والمؤذيات.

وعلى صفحاتِ هذا الكتاب نستعرضُ بشيء من التوضيح بعضَ ما ورد بشأن هذه البلاد المباركةِ من فضائلَ في نصوصِ الكتابِ والسُّنة، مما نقطعُ به أن ما نزل بها وبأهلِها اليومَ من بلاءٍ ومحنةٍ إنما هي سحابةُ صَيف عَما قليل تَنقَشع، ونقول كما قال كليمُ الرحمن موسى عليه السلام: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾



المملكة العربية السعودية
الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥
جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢
ص.ب ١٢٦٢٧١ جدة ٢١٣٥٢

خصم خاص للتوزيع الخيري: ٠٥٠٤٤٤٦٤٣٢

ISBN 978-603-8047-48-4

